إنت مش فاهمنى

بقلم
د. محمود أبو العزائم
رئيس التحرير

يعد الحوار من أرقى وسائل التواصل مع الآخرين، وهو فنٌ من فنون الاتصال الهادف مع الغير، ولا يحسن هذا الفن إلا أهل الحكمة والخبرة والثقافة العالية.

ويعتبر الحوار من الأشياء المميزة للبشر عن سائر المخلوقات التي خلقها الله، ويعتبر أيضا انعقاد الحوار شيئا هاما ليس لمجرد الحوار والمناقشة، لكن لما ينجم عن هذا الحوار من إيجابيات، فالحوار الفعال ينتج عنه عدة نتائج حيث إن الحوار الراقي ينتج عنه محبة وتآخ بين أطراف الحوار، وخلق مجتمع متآلف، وذلك لما ينجم عن الحوار من تفاهم وتعبير لكل شخص عن رأيه الشخصي، ورؤيته للموضوع من خلال وجهة نظره الخاصة، ممكن أن ينتج عن الحوار البناء تفتيح مدارك الآخرين ولفت نظرهم لأمر لم يكن نصب أعينهم من قبل.

ويعتبر الحوار البنّاء الإيجابي هو وسيلة من وسائل تنمية المجتمعات، حيث إن من خلال الحوار يتم تبادل الأفكار والآراء والاستفادة منها في النهوض بالمجتمع والأشخاص معًا. كما يعتبر الحوار الأسري من الأشياء المهمة جدًا، حيث إن الحوار بين الأهل وأفراد الأسرة يجعل الأسرة في حالة ترابط دائم، وكذلك فإن تحاور الوالدين مع أبنائهم يجعلهم قريبين من أبنائهم ومطلعين على الجوانب السليمة والجوانب السلبية في حياة أولادهم، ويجعل لديهم القدرة على حل المشكلات بشكل ناجح. وعندما توجد مشكلة ما لا يمكن حلها بشكل صحيح دون ظلم إلا عن طريق إقامة حوار فعّال بين طرفي المشكلة، ودون حضور ومناقشة الطرفين تكون المعادلة ناقصة ولا يمكن لها أن تتوازن ولا يمكن للعدل أن يتم.

والحوار في أبسط تعريفاته يُقصَد به النقاش الهادئ بطريقة مباشرة بين شخصين أو مجموعة من الأشخاص الذين يختلفون في وجهات النظر أو التوجهات أو الآراء؛ فيتبادلون أطراف الحديث بطريقة راقية؛ فيحترم فيها كُل طرف الطرف الآخر دون التعصُّب لرأيه أو منهجه.

وفي جلسة علاج نفسي مع مجموعة من الشباب كانت هناك مشكلة مطروحة للمناقشة أثارها أحد الأفراد حول موضوع الصراع بين الأجيال وتحكّم الكبار المستمر في رغبات الشباب وأهدافهم. وبدأت إحدى الشابات في الحديث عن هذا الموضوع واستفاضت في الشرح بدون مقاطعة من الآخرين، وعندما انتهت من حديثها حاول أحد الشباب الرد عليها، ولكنها قاطعته وبدأت في عرض وجهة نظرها مرة أخرى، وبعد انتهائها من الحديث بدأ هذا الشاب في استكمال عرض وجهة نظره مرة أخرى، فقامت الفتاة بالمقاطعة للمرة الثانية، وكانت طوال الحديث تردد كلمة «انتم ليه مش فاهمنى»، كأنها ترى أن وجهة نظرها فقط هي الصواب ومن لا يتماشى مع وجهة النظر تلك لا يفهمها ولا يستطيع تفهُّم وجهة نظرها.

وهذا مثال على بعض الحوارات في الأسر، حيث يسود أحيانا تفكير أن من لا يتوافق مع وجهة نظرى حتى ولو كان خطأ فهو لا يفهمنى، مما يؤدى إلى شيوع المشاكل الأسرية بسبب غياب الحوار البنّاء.

******

إذًا فالحوار مهمٌّ في حياتنا جميعًا، فهو السبيل الوحيد للتواصُل والتفاهم بين الناس، وأهم وسائل التعارف والتآلُف بينهم، ومنهج من مناهج الدعوة والإصلاح في المجتمع، ومبدأ ناجح في التربية والتعليم لتنشئة الأجيال القادمة، ويؤدي إلى التقارب والالتقاء فيما بيننا؛ لذا يجب علينا جميعًا الالتزام بآداب الحوار كالتحلّي بالأخلاق الحسنة بإخلاص النية لله في اتباع الصواب، والحديث بعِلْم وحُجَّة قوية وليس بالهوى والانتصار للذات، وضبط النفس، والحلم، والصبر، والرفق واللّين، والاحترام والتواضع... وغيرها من الأخلاق التي تزيّن الحوارَ وتجعلُه مُثمرًا.

● ولا بد لكلّ حوار ناجح من شروط، ومن أهمها:

- استخدامُ اللغة الراقية المُعبِّرة عن رأيكَ بكل هدوء، فالحوار يهدف إلى إقناع الطرف الآخر بوجهة نظرك أو الاقتناع بوجهة نظره هو، وهذا يحتاج إلى أسلوب مهذّب وأفكار مرتّبة ومتسلسلة، واختيار الكلمات التي لها وَقْعٌ في نفوس أطراف الحوار للوصول إلى الهدف المرجو؛ فالأسلوب المناسب والأمثل للحوار يدلّ على مدى تحضُّر أطراف الحوار.

- لا يمكن إطلاق مصطلح الحوار على النقاشات الحادَّة التي يسودها العنف ومواجهة الأفكار الأخرى بشدة وقسوة والتركيز على الصدّ وعدم استقبال رأي الطرف الآخر، فهذا يؤدي إلى العداوة والبغضاء بين المتحاورين.

● ومن شروط الحوار:

- احترامُ التخصُّص وفكر المحاور، فمن غير المقبول التحاوُر بموضوعاتٍ ليس لها علاقة بفكرك واهتماماتك، وليست من صميم تخصصك.

- المحافظةُ على طلب الحق بعيدًا عن العاطفة، فالغرض من الحوار هو الوصول إلى الحق والصواب، فهي ليست مسابقةً مَن يفوز في النهاية ويُقنع غيرَه ويؤخَذ برأيه؛ لذلك لا بد من البحث عن الصواب بتجرُّدٍ عن العاطفة تمامًا وأقبله حتى لو كان عند غيري، والابتعاد عن الانفعال الزائد الذي يشوِّش الأفكار ويؤدي إلى ضياع الحقيقة.

- التركيز على نقاط الاتفاق فذلك يزيد من نجاح الحوار، وكذلك التركيز على نقاط الاختلاف بهدف الوصول للصواب وتوضيحه.

● وللحوار إيجابيات في حياة البشر فهو يؤدى إلى:

- تحقيق التماسك بين أفراد المجتمع الواحد وبناء جسور التعاون؛ فالحوار يولِّد لدى الفرد الراحة، وعدم الشعور بالكبت، ويُشعِره بالاطمئنان لاتباع الصواب.

- الحوار هو أفضل الطرق لتحقيق العدالة؛ فهناك قضايا لا يمكن اتّخاذ أي إجراء فيها دون محاورةِ جميع الأطراف من أجل تجميع أكبر قدرٍ من المعلومات للقدرة على اتّخاذ الإجراء المناسب والصحيح.

- اتباع أسلوب الحوار مع أطفالنا في المراحل الأولى من حياتهم يجعل هذا النمطَ هو السائدَ في حياتهم في المستقبل ممَّا يُنتج لنا جيلًا واعيًا مثقفًا وقادرًا على الاستماع للصوت الآخر واحترامه.

- يعمل الحوار على تقريب وجهات النظر بين الناس، وكذلك تنمية مهارات فن التواصل مع الناس؛ حيث إنَّ الحوار يعكس رُقيَّ الأفراد بشكل خاصٍّ، ومن ثَم رُقِي المجتمع، ورُقي الأمة بشكل عامٍّ.